

## المفكر العربي والإعلام بين التقليد والإبداع: إشكالية اللغة والمصطلح والترجمة

بقلم علي درويش

٨ يناير ٢٠١٠

لقد أيقنتُ هذا الصباح أن الإعلام العربي قد أصابه مس من الجنون! فلقد كنت أتابع أخبار قافلة "شريان الحياة" في المساء وأعجبُ لشهامة البرلمان البريطاني الإسكتلندي جورج غلاوي ونخوته وغيرته على الشعب الفلسطيني المحاصر المقهور في قطاع غزة بينما يناشد إخوانهم العرب مَنْ في القبور للقيام من قبورهم قبل النشور لكي يساعدهم وينصروهم ويشدوا أزرهم! وا... وا... وا... ، فكأنك تسمع نعاجاً وخرافاً تساق إلى الذبح. وا... وا... وا...

وكنت أستمتع فعلاً وصدقاً بأداء ذلك الترجمان الفوري الطلق اللسان، الواضح البيان، ذي الخنآن، فيؤكدُ بأدائه الرائع بأن مهنة الترجمة العربية ما تزال بخير وأن "المِرَاس في الممارسَة"، كما كنت أقول لطلابي في الجامعة دائماً، أي كما يقولون في اللغة الإنجليزية (practice makes perfect). ثم غلبني النعاس بعد سهرة طويلة مشحونة بالمشاعر والعواطف ومثقلة بالغضب والإحباط، فغفوت برهة على الأريكة ثم تشاقلت إلى الفراش وأنا أشعر بالذنب لأنني سوف أنعم في فراش وثير بينما ينام أهلنا في غزة في العراء وبين المساكن المدمرة. وما كدت أنام حتى طلع الصباح والتلفاز ما يزال يلعلع في أرجاء البيت، ولطالما كنت أشاهد التلفاز "سماعا"، ربما

تجنباً لرؤية أشكال المذيعين والمذيعات الغربية العجيبة، لاسيما تلك المذيعة التي تقدم لنا النشرة الجوية وتصر على تقديم (حالة الطقس المتوقع لهذا اليوم) بدلا من (حالة الطقس المتوقعة لهذا اليوم). فالطقس يا بنت الناس اسم جنس كالإنسان والحيوان والتراب والخل والزيت، وحالته متغيرة ومتبدلة، والحالة هي ما تريدين إعلامنا. ولكن لا عجب فما زالوا يقولون بكل غباء (بهذا نصل إلى نهاية نشرة الأخبار قدمناها لكم) فلا يعرفون علاقة المضاف والمضاف إليه.

فأفقت من نومي متوجهاً إلى غرفة الجلوس حيث التلفاز، والوسنُ وما يزال يثقل عيني، فصدمت لسماع الضيف المفكر والمضيف العربيين يبحثان في ما إذا كان "تنتياهو" على المركب. وسمعتهما يتباريان في مركبٍ ومركبٍ (بفتح الكاف وكسرهما). فعجبت لهذا الخبر المدهش الجديد، وكان آخر ما سمعته قبل أن أخلد إلى النوم أن الرئيس الفنزويلي شافيز ورئيس الوزراء الإندونيسي الأسبق مهاتير (محاضر) محمد سيكوانا على متن سفينة متوجهة إلى غزة. فظننت لدى سماعي ما قاله الأحمقان في ذلك البرنامج أن انعطافة أو لفطة درامية (dramatic twist) قد حدثت (وقد ذهب بعيداً اضطراراً، يا معلمتي، فلا جناح عليّ) لكي ينضم "تنتياهو" إلى الرئيسين على المركب المركب. فتوقفت لأتأكد من هذا الخبر المدهش، فإذا بي أصعق لإدراكي بأن الأحمقين يقصدان (bring/come on board) بالمعنى المجازي في اللغة الإنجليزية (أقنع/اقتنع بقبول فكرة أو موقف أو مقترح الخ)، فرحتُ ألعنُ الإعلام العربي الذي وصل الجهل والامية به إلى هذا الدرك الأسفل من الجنون. وأيقنت أن الإعلام العربي إعلام أحمق فعلاً، وقد تذكرت أيام الدراسة في بريطانيا عندما كان الطلاب العرب يتمازحون في ترجمة التعابير الاصطلاحية العربية ترجمة إنجليزية حرفية مضحكة على سبيل الدعابة والمرح، مثل (على حسابي = on my arithmetic) وغيرها. ويبدو أن الإعلام العربي والنخب المستنخبة العربية المعاصرة والمفكرين العرب قد تبنا النهج الحرفي نفسه بالاتجاه المعاكس، ولكن بشكل جدي لا ينم إلا عن جهل وغباء مطبق وأمية تهدد سلامة الأمة وأمنها المعرفي والفكري ومخزونها اللغوي ومستقبلها الحضاري. فإذا بهم في تواطؤ في هذا النهج الفاسد و"على المركب"! فأأي هراء هذا الذي يتشدد به هؤلاء الإعلاميون والمفكرون العرب العضاريط؟ عندك بحرية يا

ريس! وهيلا يا واسع، مركبك راجع! إنهم يستقون تعابيرهم من واقعهم، فأساطيل  
المهايل والأغبياء تمخر عباب المياه الدولية وتصدّر للعالم أجمع هذه الدرر الفريدة.  
بل هم مقلدون رديئون من الدرجة الخمسين بعد الألف. أي أن رادارات العالم كله  
وأشد التقنيات تطورا لا تكشفهم لضالة حجمهم وخفة عقلهم. ولكنهم كلهم " على  
المركب" في حماقة والجهل!

### الإعلاميون والمفكرون العرب " على المركب "

وَلَمَحَتْ فِي الْأَفْقِ الْبَعِيدِ      سَفْنَا مِنَ الْجَهْلِ الشَّدِيدِ  
خَفَاقَةٌ رَايَاتُهَا      فِي لُجَّةِ الْحُمُقِ الْعَنِيدِ  
تَسْرِي بِلَا خَجَلٍ وَلَا      حَرَجٍ كَمَوْثُوقِ الْبَلِيدِ  
فَرَأَيْتُ فِي لِمَحَاتِهَا      عِلْمًا يُرْفَرَفُ فِي الْمَدِيدِ  
يُيَدِي كَلَامًا أَوْ طَلَا      سِمَ أَعْجَزَتْ عَقْلَ الرَّشِيدِ  
هَذَا حَمُولَتُنَا لَكُمْ      بِالْجَهْلِ جَاءَتْ بِالْمَزِيدِ  
سَفْنُ حَمُولَتِهَا غَبَّاءُ      رَكْبُهَا نَوُكُ الْعَبِيدِ<sup>٢</sup>  
فِي مَتْنِهَا رَكَابُهَا      جَاءُوا مِنَ الدَّرَكِ الصَّدِيدِ  
مُتَوَافِقِينَ عَلَى الْحِمَاقَةِ      وَالْجَهَالَةِ وَالْفَصِيدِ  
مُتَازِرِينَ عَلَى السَّفَاهَةِ      وَالتَّفَاهَةِ وَالْفَدِيدِ<sup>٣</sup>  
رَكِبُوا الْمَرَكَبَ وَالْفَضَائِيَاتِ      فِي الزَّمَنِ الْفَرِيدِ  
قَوْمٌ إِذَا شَاهَدْتَهُمْ      أَعْيَاكَ فِي بَيْتِ الْقَصِيدِ  
مَا كَانَ مِنْ غَلَطٍ وَحُمُقٍ      فِي تَفَاهَاتِ الْجَدِيدِ  
بَاعُوا الْحَصَافَةَ وَالْحَجِي      وَتَبَايَعُوا نَقْلَ الزَّهِيدِ  
أَلْفُوا اجْتِرَارَ ثَرِيدِ      فِكْرٍ لَآكِهِ رَبُّ الْعَبِيدِ  
فِيهِ مِنَ الْمَوْبِوعِ دَاءٌ      فَاتَكَ فَتَكَ الْأَسِيدِ  
عَبَثًا نَحَاوِلُ مِنْهُ دَرَاءً      وَاجْتِنَابًا فِي مَحِيدِ  
عَبَثًا نَحَاوِلُ مَخْرَجًا      مِنْ ظِلْمَةِ الْجَهْلِ الْوَطِيدِ  
لَكُنَّا إِعْلَامُنَا      فِي الْجَهْلِ مَضْمُونُ الْبَرِيدِ

إعلامنا أعلامنا      أغبى من التيسر الطريد  
يأبى إذا وجد الهدى      ليجد في السعي الحميد  
إعلامنا أعلامنا      صنوان في زمن العبيد

إن يبدو في سخافتهم أنهم يظنون أن هذا العبث الطائش أمر طريف أو (جفل) كما يحلو للشباب العربي المعاصر أن يقول. فلا يدركون أنهم بعبثهم وسخفهم و حماقتهم يُرسون تعابير ومفردات خرقاء حمقاء في أذهان المشاهدين ويصيبون المنطق بالخلل. ولا شك أن هذا الجنون يعكس ظاهرة عامة تحتاح مكامن العقل العربي المعاصر. فمع تشديد الإجراءات الأمنية على المسافرين في المطارات الدولية وتضييق الخناق على المسافرين العرب، يظهر من جديد مدى سطحية الاستخدامات اللغوية وأثر الترجمة الحرفية في المصطلحات والعبارات المتعلقة بالإجراءات الأمنية والقوانين. فتسمعهم يتحدثون عن انتهاك الخصوصية، وقد أفاقوا على (privacy laws or acts)، فإذا بهم كالبيغاوات الحمقاء يترجمون (privacy) بخصوية، فانتهاك الخصوصية أمر معيب أما انتهاك العموميات فهو أمر حبيب. وكيف تنتهك الخصوصية في العموميات يا أفنديات؟ هاهم مسؤولو أمن المطارات يمررون المجسات والماسحات والشمامات والباحثات في الخصوصية في طواير العموميات! وهنا تظهر سخافة هذه الترجمة العربية بكل جلاء ووضوح إلا في العقول المستتلبة وأدمغة المفكرين العرب المحنطة. قبل أن يستفيق الإعلام العربي والمفكرون العرب على حقوق الإنسان والقوانين التي تحترم الإنسان وكرامته، وقبل أن تنقطع عندهم السلالة المعرفية وتتحول مرجعيتهم عن إرثهم الحضاري والمعرفي إلى المصادر الأجنبية الغربية واللغتين الإنجليزية والفرنسية، وعلى ما جاء به الغرب من قوانين يخرقها هو قبل غيره (وبحك يا إسواري قد زندي لأ)، عرف العرب والمسلمون مفهوم (الحرمة) و(الحرمة). وهذا هو القصد بعينه من المفردة الإنجليزية، أيها العباقرة. فقالوا (حرمة البيت) و(حرمة الميت) وغيرهما. فانتهاك الحرمة هو (privacy violation) و (violation) هو انتهاك الحرمة. ولكنهم مجدّون في حماقتهم، وسرّ تجديدهم يكمن في الترجمة الحرفية المطلقة وتبديد الإرث المعرفي والتقليد بحجة الإبداع والتجديد. فالحرمة في نظرهم الضعيف استعمال قديم. وعبقورية إبداعهم

تكون في نبد القديم البالي من الرأس الخالي. ولكنهم يحبون طعاماً لاكم غيرهم ويتلذذون به، لاسيما إذا جاء من فم الخواجة أو من ثُغرة أخرى. ولمن يريد التعمق في الثغرات، فهي ثُغرة بضم الثاء، وجمعها ثُغَرٌ (كحُفرة، حُفْرٌ) وثُغرات بضم الثاء والغين على الإبتاع.

أما المفكرون العرب فله درهم! ما أذكاهم! فهاهو أحد المفكرين الأذكياء يقول لنا إن الحكومة البريطانية اعتمدت على جملة من الحقائق التي لا تمت إلى الواقع بصلة. حقاً؟ فإذا كانت الحقائق حقائق فكيف لا تمت إلى الواقع بصلة، أيها المفكر الغبي؟ الكلام بالمجان! لقد رأى صاحبنا كلمة (facts) فترجمها بحقائق ونسي أنها لا تتوافق ولا تتلازم منطقيًا مع (واقع). فالحقيقة واقع والواقع حقيقة إلا عند حشاشي ما بعد الحداثة أو عقبها والمجانين الذين "على المركب". نعم! لقد انضموا واقتنعوا! جاء في المعجم:

Fact: something that actually exists; reality; truth.

هذا مفكر عربي يريد الدفاع عن قضايا العرب. فهنئنا للعرب به وبالسجن المؤبد وبالاستمتاع في غياهب جهل مفكريهم.

في خضم هذه الحماقات، ما انفك الإعلام العربي يتحفنا باستضافة هؤلاء "المفكرين" العرب الجدد والمعاصرين في البرامج السياسية وغيرها. ولا يستحي الإعلام ولا أولئك المنعمون من منح أولئك العضاريط أو أنفسهم ذلك اللقب "المهني". فهم وحدهم امتهنوا الفكر والتفكير. أما غيرهم فلا طاقة ولا قبل لهم بذلك، فهم مشغولون بأمور الدنيا ومشاغلوها. ومن المفارقات أن الغرب على مدى تطوره الفكري والحضاري لم يشهد أحداً من عباقرته ومفكريه وصف نفسه بأنه مفكر (متفرغ أو بالملاك)، إلا فيما ندر، بل وصفه معاصروه ومن جاء بعده بتلك الصفة لا اللقب، فقد كان لأولئك المفكرين اختصاصاتهم ومهنتهم في الفلسفة والنظريات والعلوم وغيرها، إلى جانب أعمال العقل في الحياة والوجود كلازمة طبيعية لاهتماماتهم وذكائهم. أما العاطلون عن العمل في العالم العربي والمتسلقون والانتهازيون فلا يستحون من

إطلاق هذا اللقب على أنفسهم. فيقوم مقدم البرنامج بتقديم "المفكر العربي"، فيشرح له فؤاده وقد حقق له مراده! إنه المفكر العربي (بصوت ضخم)! هل عرفته؟ كلما سمعت أحدهم يعرف بأحدهم بأنه مفكر عربي (وما أكثرهم!) تخيلت مكتباً على مدخله لافتة بالنحاس أو الذهب تقول بخط عريض واضح وجلي:

## فريد العقل أوتي مفكر عربي

لجميع استشارتكم الفكرية وبرامجكم الإعلامية.  
نرتدي بذلة من الحرير ونضع البريل كريم الأسيل في الشعر البليل!  
يرجى تأمين المحارم الورقية لمسح ما قد يسيل!  
أوقات المراجعة من الساعة التاسعة مساءً ولغاية الخامسة صباحاً!  
التدخين مسموح

ولعل مهنة التفكير مظهر حزين من مظاهر التخلف المؤسف في العالم العربي في العصر الحديث وميزة من ميزات العرب الجدد الذين يحتكرون التفكير في استعلاء فارغ وزهو وخيلاء في زمن الانبساط والإبداع والتغيير!



المفكر العربي في حالة إبداع فكري: يرجى عدم الإزعاج!

Copyright © 2009 Ali Darwish.  
Translation Watch™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.  
All Rights Reserved.



ما عدا السهو والخطأ

محمفوظة  
جميع الحقوق

جميع حقوق الطبع والتأليف محفوظة للمؤلف

## الحواشي

- 
- <sup>1</sup> من مجموعة أمثالي الأصلية الخاصة التي رصعت بها مقالاتي وكتبي.  
<sup>2</sup> النوك: الحمق.  
<sup>3</sup> الفديد: رفع الصوت وشدته.